جامعة أكلي محند أولحاج – البويرة
كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعة
قسم علم الإجتماع

بالتنسيق مع مخبر الخطاب الصوفي- جامعة الجزائر2

جامعة البويرة

الدين والمجتمع

قضايا فكرية

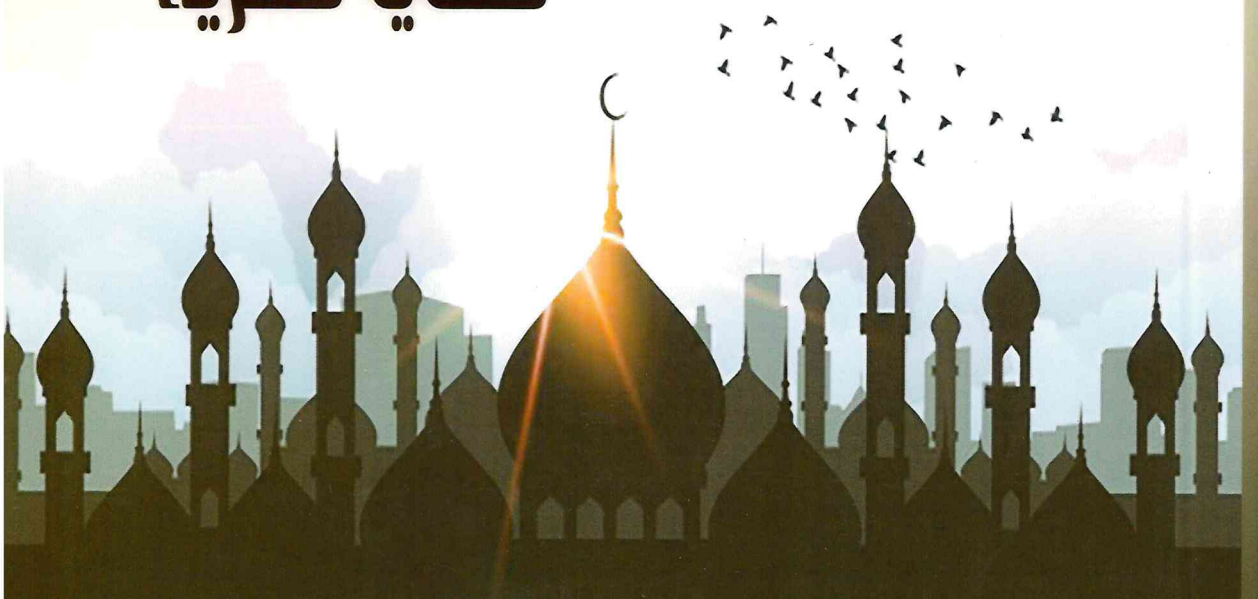

منسق الكتاب:

د. جاب الله طيب

ماي 2019

العنوان: حي تعاونية الشيخ المقراني -إشبيليا- مقابل جامعة محمد بوضياف بالمسيلة - الجزائر.
تلفاكس: 035.35.31.08 imp.nouasri@gmail.com
الإيداع القانوني: ماي 2019
ردمك (ISBN): 978-9931-749-02-8
9 789931 749028
نواصري للطباعة والنشر

جامعة آكلي محند أولحاج- البويرة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم علم الاجتماع

بالتنسيق مع مخبر الخطاب الصوفي- جامعة الجزائر2

كتاب جماعي حول

الدين و المجتمع

قضايا فكرية

منسق الكتاب:
د. جاب الله طيب

{ ماي 2019 }

عنوان الكتاب: الدين و المجتمع
قضايا فكرية

منسق الكتاب: جاب الله طيب

تاريخ الطبع: ماي 2019

رقم الإيداع القانوني: ماي 2019

ردمك: 978-9931-749-02-8

عدد الصفحات: 188 صفحة

الحجم: 24*17

جميع الحقوق محفوظة
المقالات المنشورة تعبر عن آراء أصحابها ولا تتحمل دار النشر مسؤوليتها

نواصري للطباعة والنشر

الهاتف: 035.35.31.08

البريد الإلكتروني: imp.nouasri@gmail.com

جامعة آكلي محند أولحاج– البويرة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم علم الاجتماع

كتاب جماعي حول

الدين و المجتمع

قضايا فكري

إشراف و إعداد

د. جاب الله طيب

أفريل 2019

الهيئة الاستشارية للكتاب

-الأستاذ الدكتور:رشيد بوسعادة	جامعة الجزائر2
- الأستاذة الدكتورة : مساني فاطمة	جامعة البويرة
- الأستاذ الدكتور:لعموري زاوي	جامعة الجزائر2
-الدكتور :محمد بن حليمة	جامعة الجزائر2
- الدكتور سلالي مراد	جامعة لونيسي علي البليدة-2
-الدكتور : زيوش سعيد	جامعة الشلف
-الدكتور :اسحاق رحماني	جامعة البويرة
- الدكتور:. حسين محمد الشريف	جامعة المسيلة
- الدكتور عزّالدّين عبد الدّائم	جامعة البويرة
-الدكتور :شوشان زهرة	جامعة البويرة
-الدكتور رضا رميلي	جامعة البويرة
- الدكتور جلاوي السعيد	جامعة البويرة
-الدكتور بن حامد لخضر	جامعة البويرة
-الدكتورة :ماقري مليكة	جامعة البويرة
-الدكتور :رضا بن مقلة	جامعة المسيلة
-الدكتور :عزوز عبد الناصر	جامعة المسيلة
-الدكتور :قندوز منير	جامعة البويرة
-الدكتور : جاب الله طيب	

قائمة المحتويات

الموضوعات	الصفحة

الكلمة الإفتتاحية

د. جاب الله طيب - جامعة البويرة .....

دور الدين في تعزيز القيم الوطنية لدى الفرد الجزائري

د. جاب الله طيب - جامعة البويرة / د. سعيد زيوش - جامعة الشلف .....

التصوّف ورحلة المصطلح بين أُنس الوضع اللغوي وشَطَح التَمثُل العرفاني

أ.د لعموري زاوي جامعة الجزائر2 .....

أهميـــة الديـــن فـي حيـاة الفـرد

د. سلالي مراد جامعة لونيسي علي البليدة-2 .....

محب الدين الخطيب والفرق الضالّة في منظوره "البهـائيـــــة"

د. حسين محمد الشريف - جامعة المسيلـة .....

علاقة الحركة الصوفية بالسلطة السياسية خلال العهد الزياني

د. جلاوي السعيد - جامعة البويرة .....

قراءة في المنهج العملي عند الصوفية

د. لخضر بن حامد / أ. وحيد حرحوز - جامعة البويرة .....

المتدين والمجتمع أو جدلية الاعتراف المتبادل

د. بن مقلة رضا جامعة البويرة .....

الخطاب الديني بين معايير الامتثال ومظاهر التشدد- مقاربة سوسيولوجية للمعايير والمظاهر الخاصة بتجديد الخطاب الديني (الإسلامي).

د. محمد بن حليمة - جامعة الجزائر2.....

الجانب التاريخي للتصوف

د. محمد سريج - جامعة الشلف .....

التصوف اليهودي وأثره في الفكر الغربي

د. عبد النور نابت - جامعة البويرة .....

أبو الفضل ابن النحوي ودوره في نشر التصوف في المغرب الأوسط

د. منير قندوز / د.عبد الناصر عزوز / د. زلاقي وهيبة - جامعة المسيلة .....

وظائف الزوايا في المجتمع الجزائري (مقاربة سوسيو دينية ثقافية)

د. بايود صبرينة جامعة البويرة .....

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وتعاملها مع المخالفين لها في المنظور الديني

د. عزّ الدّين عبد الدّائم جامعة البويرة .....

الدور السياسي للطرق الصوفية في الجزائر1830- 1908 – الطريقة الرحمانية - أنموذجا-

د. رشيدة شدري معمر- جامعة البويرة / أ.جيجيك زروق - جامعة بجاية .....

التصوف بالمغرب الإسلامي من القرن الأول الهجري حتى القرن السادس هجري .

أ . سامية بوصيقع - جامعة المدية / د. إسحاق رحماني - جامعة البويرة .....

الظاهرة الدينية بين المقاربات الكلاسيكية و المعاصرة

د. ماقري مليكة - جامعة البويرة .....

د. جاب الله طيب - جامعة البويرة

إن الدين ركن أساسيا من أركان البناء الاجتماعي، و يمكن القول بأنه ينظم بقية الأركان الأخرى لهذا البناء إن الهدف من الدين هو إبراز و بلورة معنى أو مغزى للحياة يتزود به المؤمن، فالظاهر أن الوظيفة الأساسية للدين كما يراها تايلور تتمثل في أنه يشرح و يفسر كل ما هو غامض في حياة الإنسان، إلى جانب دوره في إعادة شعور الطمأنينة و الراحة من خلال بعض طرقه و أساليبه في التغلب على المشاكل عموما و المعاملة مع الأمور المجهولة في الحياة ومن ثم يتضح أنه من شبه المتفق عليه أن وظائف الدين الهامة تتمثل في دوره في تحقيق الأمان و الطمأنينة و التخلص من التوتر و الانفعال و مقاومة اليأس والقنوط فالتذكير بآفاق الحياة بعد الموت من شأنه أن يوفر للناس العون والمؤاساة والمصالحة مما يجعلهم قادرين على تحمل الخيبة و الآسي و الحيرة، و يحول دون اليأس من القيم و الأهداف القائمة، فادين بتأكيده على تجاوز الوضع الراهن و بتأكيده على وجود حياة أخرى ربما هي أهم من الحياة الدنيا، يوفر للإنسان وضعا يتسم بالانفتاح فالدين يؤدي إلى تكيف الفرد و تأقلمه مع المجتمع و مواجهة خيبة الأمل و كذلك الاضطرابات التي تنتابه عندما يشعر بغربته عن مجتمعه ومعاييره وقواعده وأهدافه.

فالدين **يمد** الفرد بالشعور بالتماثل والتآلف والترابط بين المؤمنين، كما أن الروابط العاطفية التي تربط بين المؤمنين تحل محل الروابط الاسرية والصداقات القديمة بل إن له من الآثار ما هو أبعد من ذلك إذ يساهم في عمليات نضج الأفراد وتطور شخصياتهم، فهو صمام الأمان لأعماق النفس الإنسانية ومصدر الراحة والطمأنينة من مخاوف المستقبل وما بعد الموت، إن هذا الإيمان يمنح للإنسان يقينا صادقا حتى يستطيع مواجهة أعتى المشكلات والصعاب، فهو يجاهد في سبيل هدف سام أعلى ويغض النظر عن الأهداف الدنيئة القذرة

أما عن الوظائف الاجتماعية للدين فهي لم تكن بأقل أهمية من الوظائف النفسية الفردية وهذه الوظائف نذكر أهمها أن الدين يؤدي دورا كبيرا في تنظيم الحياة الاجتماعية في المجتمعات المحلية والكبرى ويشرف على أنشطتها العامة والخاصة.

فالدين من خلال مؤسساته ومنظماته كالمساجد و الزوايا و الكنائس والأديرة يعد مصدرا من مصادر نشر الثقافة والتربية والتعليم، فقد يتعلم الصغار والشباب من كل الجنسين القراءة والكتابة والفقه والدين والأخلاق داخل أماكن العبادة، ومثل هذا التعليم قد يكون أساسا للتعليم اللاحق الذي يكتسبه الفتى أو الفتاة في المؤسسات التربوية والتعليمية الأخرى كما تؤدي أماكن العبادة دورها الفاعل في جمع الأموال من الأغنياء والميسورين وتوزيعها على الفقراء والمحتاجين وهنا تكون المؤسسات

الدينية ومن بينها الزوايا قناة من قنوات محاربة العوز والحاجة والفقر وبالتالي مصدرا من مصادر الوقاية من الانحراف والجريمة، كما تلعب أماكن العبادة دورها في حل المنازعات بين الناس وإزالة أسباب الخلافات والتوترات بين الجماعات، إضافة إلى دورها الفاعل في تنظيم مناسبات الأفراح كالأعياد الدينية والمناسبات الوطنية والقومية والمآتم كالصلاة على الميت والمشاركة تشيعه ودفنه، وأخيرا حفلات الزواج

ويمكن القول أن للدين دور كبير أيضا في تحديد القيم الايجابية التي ينبغي على المؤمنين التمسك بها والتصرف وفق تعاليمها وأسسها.

وكل ما يمكن قوله هو أن الدين يقوم بدو مهم هو تدعيم القيم الاجتماعية و العمل على التمسك بها و استقرار المجتمع و استمراريته في هذا الدور و هو ما تعمل عليه الزوايا العلمية والطرق الصوفية من خلال ما تقوم به من أجل ضمان الاستقرار و الاستمرار للمجتمع في كنف هذه القيم الفاضلة.

قراءة في المنهج العملي عند الصوفية

د. لخضر بن حامد / أ. وحيد حرحوز

جامعة البويرة

مقدمة:

لقد اعتبر الشيخ محمد الغزالي التصوف منجما مليئا بالأتربة وبالتبر، وهو بحاجة إلى خبير متمرس يخرج نفائسه من بين الأتربة،فالأمة لم تحسن الانتفاع من كنوز التصوف التي لديها،ولقد ظهر هذا في تعامله مع رجل حكيم من علماء الصوفية وهو الإمام ابن عطاء الله السكندري الذي لطالما استعاد حكمه في كثير من كتاباته من مثل كتابه:"ركائز الإيمان بين العقل والقلب"،أو "الجانب العاطفي في الإسلام"، أو "جدد حياتك"، واعتبر محمد الغزالي أن حكم ابن عطاء الله هي أولى المؤلفات بكلمة سعد زغلول: (كأنها تنزيل من التنزيل أو قبة من نور الذكر الحكيم)،**[ينظر كتاب محمد عمارة،الشيخ محمد الغزالي:الموقع الفكري والمعارك الفكرية،دار السلام، القاهرة، 2009ص5-24]**

لذا كانت هذه الورقات هي عملية متواضعة في الدخول إلى هذا المنجم والتقاط دُرره من بين الأتربة التي رانت عليها السنون وحامت حولها الظنون.

التصوف دراسة تأصيلية:

أولا : الماهية والمصطلح:

أصبح لمصطلح "التصوف" حضورا علميا في أكثر الندوات والملتقيات المحلية والدولية،عرضه لتجاذبات كادت أن تخرجه عن مساره،مما يدعونا للوقوف عند هذا المصطلح لحصر أطرافه وضبط مفهومه بغية التأصيل العلمي للتصوف أو إثبات علمية التصوف، حتى يأخذ مكانه اللائق به كعلم من العلوم الإسلامية

إن الباحث عن تحديد مفهوم التصوف يكاد يتوه لكثرة التعريفات والحدود، فقد (حد التصوف ورسم وفسر بوجوه تبلغ نحو الألفين (**قواعد التصوف، أبو العباس أحمد بن محمد زروق، قاعدة 13، صححه محمد زهري النجار، مكتبة الكليات الأزهرية ط 1976-**) مما جعل عالما كبيرا كابن خلدون ينفي عن التصوف صفة العلمية إذ(العلم الذي يعبر عنه إنما هو العلوم الاصطلاحية الكسبية، وأما الوجدانية فلا (**شفاء السائل لتهذيب المسائل، عبد الرحمن بن خلدون، الدار العربية للكتاب، 1991، ص:204-)**

وسبب هذا الاختلاف يرجع إلى اختلافهم حول ماهيته، فهناك من عرفه بالبداية وهناك من رسمه وفق غاياته وأهدافه، فهو يتضمن أحوالا ومقامات تربطها سلوكات ترسم لمريدها الطريق الموصل إلى الله تعالى، فلو أخذنا تعريف سيد الطائفة وشيخ الصوفية الجنيد(ت200هـ)، لوجدنا أنه يعرف التصوف مرة باعتبار بداية الطريق فيقول: (التصوف أخلاق كريمة ظهرت في زمان كريم، من رجل كريم مع قوام كريم) **[الرسالة القشيرية في علم التصوف، أبو القاسم القشيري، طبعة بيروت2/552(د ت)]**، ومرة يعبر عنه بأحوال النهاية حين يقول: (هو أن يميتك الحق عندك ويحييك به) **[الرسالة القشيرية نفسه]**،ومن عرفه بأحواله وأخلاقه أبو عثمان بن سعيد بن اسماعيل (ت298): (التصوف الصحبة مع الله

بحسن الأدب ودوام الهيبة والمراقبة والصحبة مع رسول الله بإتباع سنته ولزوم ظهور العلم)[**الرسالة القشيرية**1/139،138]، وحتى لا يدعي التصوف من ليس من أهله ميزه البغدادي بعلامة قال في بيانها: (علامة الصوفي الصادق أن يفتقر بعد الغنى ويذل بعد العز ويخفى بعد الشهرة، وعلامة الكاذب العكس)[**أعمال القلوب بين الصوفية وعلماء أهل السنة، مصطفي حلمي، دار الدعوة للطباعة والنشر د.ت ص10**]، وسبب هذا الاختلاف الذي يصل حد الغموض في تعريف التصوف أن (تعبيراتهم وجدانية ذوقية، ولا يمكن التعبير عنها إلا لمن يشارك في وجدانها وذوقها) [**أعمال القلوب ص10**]، ورغم كثرة جدود التصوف ورسومه فهي ترجع كلها لصدق التوجه مع الله، وإنما هي وجوه فيه كما يقول الشيخ زروق[**قواعد التصوف، قاعدة12، مرجع سابق**]

التسمية والمصدر:

اختلف الباحثون وحتى الصوفية أنفسهم في أصل تسمية التصوف ومصدر اشتقاقه، فقد نقل الطوسي أبو نصر السراج(ت378ه)، في كتابه "اللمع" الذي يعد أقدم مرجع صوفي، نقل عن أحد الصوفية أنه قال: (كان في الأصل صفوي، فاستثقل ذلك، فقيل صوفي، وبمثل ذلك نقل عن أبي الحسن الكناد: هو مأحوذ من الصفاء) [**ينظر كتاب اللمع، دار الكتب الحديثة، مصر،1960م ص:46**

جاء في كتاب قواعد التصوف:(وقد كثرت الأقوال في اشتقاق **التصوف، وأمسى ذلك بالحقيقة خمس:**

الأول: قول من قال: من الصوفة، لأنه مع الله كالصوفة المطروحة لا تدبير له

الثاني: أنه من صوفة القفا، للينها، فالصوف**ي هيّن ليّن**

الثالث: أنه من الصفة، إذ جعلته اتصاف بالمحاسن وترك الأوصاف المذمومة

الرابع: أنه من الصفاء، وصحح هذا القول حتى قال أبو الفتح البستي رحمه الله

تنازع **الناس في الصوفي واختلفو"**أو ظنه البعض مشتقا من الصوف

ولست أمنح هذا الاسم غير فتى" صافي فصوفي حتى سمى الصوفي

الخامس: أنه منقول من الصفة لأن صاحبه تابع لأهلها فيما أثبت الله **لهم من الوصف حيث قال تعالى:** {يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ}. وهذا هو الأصل الذي يرجع إليه كل قول فيه)

ينظر:**قواعد التصوف لابن زروق الطبعة الثانية ص 293 ط 1396 هـ مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة**

ولو تتبعنا أقوال العلماء في أصل هذه الكلمة لرأينا أنهم اختلفوا اختلافا شديدا وذهبوا فيه كل مذهب، حتى دعا بعضهم إلى التسليم عن إبداء الرأي وترك البحث في اشتقاقات الكلمة، فهذا أبو القاسم القشيري وهو من أكابر علماء الصوفية، صاحب الرسالة المشهورة بعد أن استعرض أقوال العلماء في أصل هذه الكلمة يقول: (ثم إن هذه الطائفة أشهر من أن يحتاج في تعيينهم إلى قياس لفظ واستحقاق اشتقاق) **ينظر الرسالة القشيرية في علم التصوف، أبو القاسم القشيري، ت هاني الحاج، المكتبة التوفقية، د ط د ت ص85**

وقد ناقش صاحب كتاب "روض القلوب المستطاب" هذا الاشتقاق نظما ودعا للكف عن إبداء الرأي في هذا الاشتقاق والتوقف عن الاختلاف والشقاق فقال:

وقد جرى من حيث الاشتقاق في لفظة التصوف الشقاق

وكل ذي قولة له توجيـه لقوله في نفسه وجيه

ولكن القياس والقواعـد في حملة الأقوال لا تساعد
والبعض منهم قد يقوي قوله بالأخذ من صوف بلبسهم له
فقولهم هذا وإن يكن وجد له قياس في كلامهم عهد
لكن أهل الحق لم يختصوا بلبسه ولا عليه نصوا
فالأحسن التسليم في أقوالهم لهم وفي ما كان من أحوالهم
فإنهم أجل من أن تفتقر أقوالهم إلى قياس مشتهر
أو اشتقاق إذ لهم قانون ساروا به وسرهم مكنون
فليس إلا الكف والتسليم وفوق كل عالم عليم

(الزهد والتصوف، حسن الشيخ الفاتح الشيخ قريب الله، دار الجيل، بيروت، ط1، ص51/50)

التاريخ والنشأة:

كما اختلف الدارسون في بدء ظهور هذه الكلمة واشتقاقها اختلفوا في أصلها وتطورها، فذكر ابن الجوزي وتبعه ابن تيمية وابن خلدون أن مصطلح الصوفية لم يكن معروفا في القرون الثلاثة الأولى، ويرجع بعضهم أن أول من تكلم به هو الإمام سفيان الثوري، وبعضهم يرجعها للحسن البصري**[ينظر تلبيس إبليس، ابن الجوزي، دار القلم، بيروت، ص157]**، فقد روي عن سفيان الثوري قوله: لولا أبو هاشم الصوفي ما عرفت دقيق الرياء **[اللمع المصدر السابق،ص43/42]**،يقول الإمام القشيري: (اشتهر هذا الاسم لهؤلاء الأكابر قبل المائتين من الهجرة) **[الرسالة القشيرية، المصدر السابق،ج1ص269]**، ولكن المستشرق الفرنسي ماسينيون يخالف هذا، فيقول: (ورد لفظ الصوفي لأول مرة في التاريخ في النصف الثاني من القرن الثامن الميلادي إذ نعت به جابر بن حيان، وهو صاحب كيمياء شيعي من أهل الكوفة، له في الزهد مذهب خاص، وأبو هاشم الصوفي المشهور) **[دائرة المعارف الإسلامية، الطبعة العربية، مادة تصوف، ج5ص266]**،ولقد حاول بعض الباحثين[محمود يوسف الشوبكي] تقسيم **نشأته إلى أطوار ستة، نذكرها اختصارا لأهميتها:**

الطور الأول: طور التسامي عن الحياة المادية: يتناول القرن الأول الهجري من عصر الصحابة إلى القرن الثاني من عصر كبار التابعين، وهو عصر تتوازن فيه متطلبات الجسد ومتطلبات الروح

الطور الثاني: طور التشبه بالسابقين: والذي يبدأ في النصف الثاني من القرن الثاني هجري والقرن الثالث، وهو عصر تميز بالاتباع ورفض الابتداع، وعلى رأس هذا الطور يقف إبراهيم بن أدهم ت161هـ، ورابعة العدوية ت185هـ،

الطور الثالث: طور دخول الألفاظ الموهمة: يمتد هذا الطور إلى أواسط القرن الرابع، الذي يمثله أبو يزيد البسطامي 261هـ، الذي تكلم في المكاشفة بألفاظ موهمة، ومن رجال هذا الطور سهل التستري ت283هـ، الذي نحى بالزهد منحى كلاميا

الطور الرابع: وهذا الطور بدا في القرن الرابع هجري وعلى رأسه الحسين بن منصور الحلاج309هـ ، وأبو بكر الواسطيت 331هـ، الذي كان يدعوا إلى التأمل في الله وعدم ذكره باللسان، ويعتبر ذكر اللسان غفلة أكثر من غفلة اللاهين

الطور الخامس: تبلور الطرق الصوفية: وكان هذا في القرن الخامس هجري وما بعده، ومن أعلام هذا الطور عبد القادر الجيلاني الذي توفي عام561هـ، وإليه تنسب الطريقة القادرية، ومن مشاهير هذا الطور أحمد الرفاعي، وإليه تنسب

الطريقة الرفاعية، ظهرت بعدها الطريقة الشاذلية نسبة إلى أبو الحسن الشاذلي الذي توفي عام 656هـ، وكذا ظهرت الطريقة البدوية نسبة إلى أحمد البدوي الذي توفي سنة 634هـ، وظهرت في هذه الحقبة الطريقة الدسوقية لصاحبها إبراهيم الدسوقي 667هـ

الطور السادس :طور ظهور المجاذيب الذين ظهروا في القرنين التاسع والعاشر هجري وهم أقسام فمنهم المتظاهرون الذين يتخفون هروبا من السلاطين أو لأهداف سياسية، وبعضهم تطورت به حالته ألى حالة مرضية نفسية أو عصبية أدت بهم إلى إذاية الناس أحيانا، وبعضهم كانت تمر بهم هذه الأزمات النفسية مؤقتة كانوا يقومون على إثرها بأعمال جنونية

[ينظر مفهو م التصوف وأنواعه في الميزان الشرعي، محمود يوسف الشوبكي، مجلة الجامعة الإسلامية،كلية أوص الدين بغزة المجلد العاشر،2002، العدد2، ص428/355]

المنهج العملي عند المتصوفة:

الصُحبة: إن للصحبة أثراً عميقاً في شخصية المرء وأخلاقه وسلوكه، والصاحب يكتسب صفات صاحبه بالتأثر الروحي والاقتداء العملي، والإنسان اجتماعي بطبعه لا بد له من أن يخالط الناس ويكون له منهم أخلاء وأصدقاء ؛ فإن اختارهم من أهل الفساد والشر والفسوق والمجون انحدرت أخلاقه، وانحطت صفاته تدريجياً دون أن يشعر، حتى يصل إلى حضيضهم ويهوي إلى دركهم.(المرء على دين خليله)

أما إذا اختار صحبة أهل الإيمان والتقوى والاستقامة والمعرفة بالله تعالى فلا يلبث أن يرتفع إلى أوج علاهم، ويكتسب منهم الخُلق القويم، والإيمان الراسخ، والصفات العالية، والمعارف الإلهية، ويتحرر من عيوب نفسه، ورعونات خُلُقِهِ. ولهذا تُعرف أخلاق الرجل بمعرفة أصحابه وجلسائه.

وما نال الصحابة رضوان الله عليهم هذا المقام السامي والدرجة الرفيعة بعد أن كانوا في ظلمات الجاهلية إلا بمصاحبتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومجالستهم له. وما أحرز التابعون هذا الشرف العظيم إلا باجتماعهم بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وبما أن رسالة سيدنا محمد عليه السلام عامة خالدة إلى قيام الساعة، فإن لرسول الله صلى الله عليه وسلم وُرّاثاً من العلماء العارفين بالله تعالى، ورثوا عن نبيهم العلم والخُلق والإيمان والتقوى، فكانوا خلفاء عنه في الهداية والإرشاد والدعوة إلى الله، يقتبسون من نوره ليضيؤوا للإنسانية طريق الحق والرشاد، فمَنْ جالسهم سرى إليه من حالهم الذي اقتبسوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومَنْ نصرهم فقد نصر الدين، ومن ربط حبله بحبالهم فقد اتصل برسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومن استقى من هدايتهم وإرشادهم فقد استقى من نبع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

هؤلاء الوراث هم الذين ينقلون للناس الدين، مُمَثَّلاً في سلوكهم، حيَّاً في أحوالهم، واضحاً في حركاتهم وسكناتهم، هم من الذين عناهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك لا ينقطع أثرهم على مر الزمان، ولا يخلو منهم قطر.

قال تعالى: {لقد كان لكم في رسول الله أُسوةٌ حسنةٌ لِمَنْ كان يرجو الله واليومَ الآخرَ وذكرَ اللهَ كثيراً} **[الأحزاب: 21]**.

فالطريق العملي الموصل لتزكية النفوس والتحلي بالكمالات الخلقية هو صحبة الوارث المحمدي والمرشد الصادق الذي

تزداد بصحبته إيماناً وتقوىً وأخلاقاً، وتشفى بملازمته وحضور مجالسه من أمراضك القلبية وعيوبك النفسية، وتتأثر شخصيتك بشخصيته التي هي صورة عن الشخصية المثالية، شخصية رسول الله صلى الله عليه وسلم.

2. الدليل على أهمية الصحبة من كتاب الله تعالى:

1. قال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا اتقوا اللهَ وكُونوا معَ الصادقين} **[التوبة: 119]**. والصادقون: هم الصفوة من المؤمنين الذين عناهم الله بقوله: {مِنَ المؤمنين رِجال صَدَقوا ما عاهدوا اللهَ عليهِ} **[الأحزاب: 23]**.

2. قال تعالى: {واصبر نفسك مع الذينَ يدعون ربَّهم بالغداةِ والعشيّ يُريدونَ وجهَهُ ولا تَعْدُ عيناك عنهُم تُريد زينةَ الحياةِ الدنيا ولا تُطِعْ مَنْ أغفلنا قلبَه عن ذكرنا واتَّبَعَ هواهُ وكان أمرُه فُرُطاً} **[الكهف: 28]**.

الخطاب هنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم من قبيل تعليم أُمته وإرشادها.

3. الدليل على أهمية الصحبة من الأحاديث الشريفة:

1. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنما مَثَلُ الجليسِ الصالح وجليسِ السوءِ كحاملِ المسكِ، ونافخ الكير، فحاملُ المسكِ إما أن يُحْذِيَكَ (يعطيك) وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخُ الكيرِ إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد فيه ريحاً منتنة) [رواه البخاري في صحيحه

ثم اعلم أن من علامات المرشد أموراً يمكن ملاحظتها منها:

1/أنك إذا جالسته تشعر بنفحة إيمانية، ونشوة روحية، لا يتكلم إلا لله، ولا ينطق إلا بخير، ولا يتحدث إلا بموعظة أو نصيحة، تستفيد من صحبته كما تستفيد من كلامه، تنتفع من قربه كما تنتفع من بعده، تستفيد من لحظه كما تستفيد من لفظه.

2/أن تلاحظ في إخوانه ومريديه صور الإيمان والإخلاص والتقوى والتواضع، وتتذكر وأنت تخالطهم المُثُلَ العليا من الحب، والصدق والإيثار والأخوة الخالصة.

3/أنك ترى تلامذته يمثلون مختلف طبقات الأمة، وهكذا كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أخذ العهد:

مما سبق ثبت أنّه ينبغي للمريد أن يلتحق بمرشد (شيخ) يتعهده بالتوجيه ويرشده إلى الطريق الحق، ويضيء له ما أظلم من جوانب نفسه، حتى يعبد الله تعالى على بصيرة وهدى ويقين.

يبايع المرشد، ويعاهده على السير معه في طريق التخلي عن العيوب والتحلي بالصفات الحسنة، والتحقق بركن الإحسان.

قال تعالى: {إنَّ الذينَ يُبايعونَك إنَّما يبايعونَ اللهَ يدُ اللهِ فوق أيديهم فمَنْ نكث فإنَّما ينكث على نفسه ومَنْ أوفى بما عاهَدَ عليهُ اللهَ فسيؤتيهِ أجراً عظيماً} **[الفتح: 10]**.

ومن السنة: فقد كان أخذ العهد في السنة جامعاً بين بيعة الرجال، وتلقين الجماعات والأفراد، ومبايعة النساء، بل وحتى من لم يحتلم.

فأما بيعة الرجال: فقد أخرج البخاري في صحيحه عن عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف، فمن وفَّى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله فهو إلى الله، إن شاء عفا عنه ؛ وإن شاء عاقبه.

2/التلقين:

التلقين جماعة:

فعن يعلى بن شداد قال: حدثني أبي شداد بن أوس رضي الله عنه ؛ وعبادة بن الصامت حاضر يصدقه قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "هل فيكم غريب ؟" . يعني من أهل الكتاب . فقلنا: لا يا رسول الله، فأمر بغلق الباب فقال: "ارفعوا أيديكم وقولوا: لا إله إلا الله"، فرفعنا أيدينا وقلنا: لا إله إلا الله، ثم قال صلى الله عليه وسلم: "الحمد لله ؛ اللهم إنك بعثتني بهذه الكلمة، وأمرتني بها، ووعدتني عليها الجنة، وإنك لا تخلف الميعاد"، ثم قال صلى الله عليه وسلم: "ألا أبشروا فإنَّ الله قد غفر لكم"

وأما التلقين الإفرادي:

فإن علياً كرَّم الله وجهه سأل النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: (يا رسول الله دلني على أقرب الطرق إلى الله، وأسهلها على عباده، وأفضلها عنده تعالى)، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "عليك بمداومة ذكر الله سراً وجهراً"، فقال علي: (كلُّ الناس ذاكرون فخصَّني بشيء) ؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أفضل ما قلته أنا و النبيون من قبلي: لا إله إلا الله، ولو أن السموات و الأرضيين في كفة ولا إله إلا الله في كفة لرجحت بهم، ولا تقوم القيامة وعلى وجه الأرض من يقول: لا إله إلا الله"، ثم قال علي: (فكيف أذكر ؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم: "غَمِّضْ عينيكَ واسمع مني لا إله إلا الله ثلاث مرات، ثم قلها ثلاثاً وأنا أسمع، ثم فعل ذلك برفع الصوت" [رواه الطبراني والبزار بإسناد حسن].

تناقل الإذن:

منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا تناقل هذا الإذنَ والتلقينَ والعهدَ رجالٌ عن رجال، فوصل إلينا محققاً مسلسلاً مسجلاً، والصوفية يُسمُّون البيعة والإذن والتلقين باسم "القبضة"، يتلقاها واحد عن واحد، يقبض كل منهما يد الآخر.

وهكذا فإن المرشدين يجددون النشاط الإيماني في عصرهم، ويعيدون النور المحمدي إلى ضيائه وبريقه بعد تطاول الزمن وتعاقب القرون، وهذا معنى قوله عليه الصلاة والسلام: "العلماء ورثة الأنبياء"

آداب المريد مع شيخه: وهي نوعان:

فأما الآداب الباطنة فهي:

1. الاستسلام لشيخه وطاعته في جميع أوامره ونصائحه، وليس هذا من باب الانقياد الأعمى الذي يهمل فيه المرء عقله ويتخلى عن شخصيته، ولكنه من باب التسليم لِذي الاختصاص والخبرة ؛ بعد الإيمان الجازم بمقدمات فكرية أساسية، منها التصديق الراسخ بإذنه وأهليته واختصاصه وحكمته ورحمته، وأنه جمع بين الشريعة والحقيقة.. الخ.
2. عدم الاعتراض على شيخه في طريقة تربية مريديه، لأنه مجتهد في هذا الباب عن علم واختصاص وخبرة، كما لا ينبغي أن يفتح المريد على نفسه باب النقد لكل تصرف من تصرفات شيخه ؛ فهذا من شأنه أن يُضْعِفَ ثقته به ويَحجُبَ عنه خيراً كثيراً ، قال العلامة ابن حجر الهيثمي: (ومَنْ فتح باب الاعتراض على المشايخ والنظر في أحوالهم وأفعالهم والبحث عنها فإن ذلك علامة حرمانه وسوء عاقبته، وأنه لا يَنْتُج قط، ومن ثَمَّ قالوا: [من قال لشيخه لِم ؟ لَمْ يفلح أبداً]

وإذا أورد الشيطان على قلب المريد إشكالاً شرعياً حول تصرفٍ من تصرفات شيخه بغية قطع الصلة ونزع الثقة فما على

المريد إلا أن يُحسِنَ الظن بشيخه ويلتمسَ له تأويلاً شرعياً ومخرجاً فقهياً، فإن لم يستطع ذلك فعليه أن يسأل شيخه مستفسراً بأدب واحترام.**[الفتاوى الحديثية". للمحدث ابن حجر الهيثمي المكي المتوفى سنة 974هـ، ص55].**

3. أن لا يعتقد في شيخه العصمة، فإن الشيخ وإن كان على أكمل الحالات فليس بمعصوم، إذ قد تصدر منه الهفوات والزلات، ولكنه لا يصر عليها ولا تتعلق همته أبداً بغير الله تعالى.

4. أن يعتقد كمال شيخه وتمام أهليته للتربية والإرشاد، وإنما كَوَّن هذا الاعتقاد بعد أن فتش ودقَّقَ بادىء أمره ؛ فوجد شروط الوارث المحمدي التي سبق ذكرها قد تحققت في شيخه، ووجد أن الذين يصحبونه يتقدمون في إيمانهم وعباداتهم وعلمهم وأخلاقهم ومعارفهم الإلهية

5. اتصافه بالصدق والإخلاص في صحبته لشيخه.

6. تعظيمه وحفظ حرمته حاضراً وغائباً. قال إبراهيم بن شيبان القرميسيني: (من ترك حرمة المشايخ ابتلي بالدعاوي الكاذبة وافتضح بها) (**["طبقات الصوفية" ص405]**.

وقال محمد بن حامد الترمذي رضي الله عنه: (إذا أوصلك الله إلى مقام ومنعك حرمة أهله والالتذاذ بما أوصلك إليه، فاعلم أنك مغرور مستدرَج).

وقال أيضاً: (من لم تُرضِهِ أوامر المشايخ وتأديبُهم فإنه لا يتأدب بكتاب ولا سنة) **["طبقات الصوفية" ص283].**

وقال أبو العباس المرسي: (تَتَبَّعْنا أحوال القوم فما رأينا أحداً أنكر عليهم ومات بخير)**["مدارج السلوك إلى ملك الملوك". للشيخ أبو بكر بن محمد بناني الشاذلي المتوفى سنة 1284هـ]. ص12**

وقال الشيخ عبد القادر الجيلاني: (من وقع في عِرض وليٍّ ابتلاه الله بموت القلب).

7. عدم تطلعه إلى غير شيخه لئلا يتشتت قلبه بين شيخين، ومثال **المريد** في ذلك كمثل المريض الذي يطبب جسمه عند طبيبين في وقت واحد فيقع في الحيرة والتردد [ينبغي الملاحظة أن المقصود بالشيخ هنا هو شيخ التربية لا شيخ التعليم ؛ إذ يمكن لطالب العلم أن يكون له عدة أساتذة، ويمكن للمريد أن يكون له أساتذة في العلم لأن ارتباطه بهم ارتباط علمي، بينما صلة المريد بشيخ التربية صلة قلبية وتربوية.

وأما الآداب الظاهرة فهي:

1. أن يوافق شيخه أمراً ونهياً، كموافقة المريض لطبيبه.

2. أن يلتزم السكينة والوقار في مجلسه، فلا يتكىء على شيء يعتمده، ولا يتثاءب ولا ينام، ولا يضحك بلا سبب، ولا يرفع صوته عليه، ولا يتكلم حتى يستأذنه لأن ذلك من عدم المبالاة بالشيخ وعدم الاحترام له.

3. المبادرة إلى خدمته بقدر الإمكان.

4. دوام حضور مجالسه، فإن كان في بلد بعيد فعليه أن يكرر زيارته بقدر المستطاع.

وإن السادة الصوفية بنوا سيرهم على ثلاثة أصول "الاجتماع والاستماع والاتباع" وبذلك يحصل الانتفاع.

5. الصبر على مواقفه التربوية كجفوته وإعراضه... الخ، التي يقصد بها تخليص المريد من رعوناته النفسية وأمراضه القلبية. **["الفتاوى الحديثية" ص55].**

6. أن لا ينقل من كلام الشيخ إلى الناس إلا بقدر أفهامهم وعقولهم لئلا يسيء إلى نفسه وشيخه

2. **آداب المريد مع إخوانه:**

1. حفظ حرمتهم غائبين أو حاضرين، فلا يغتاب أحداً منهم، ولا ينقص أحداً، لأن لحومهم مسمومة كلحوم العلماء والصالحين.

2. نصيحتهم بتعليم جاهلهم وإرشاد ضالهم، وتقوية ضعيفهم.

وللنصيحة شروط ينبغي التزامها، وهي ثلاثة للناصح، وثلاثة للمنصوح.

فشروط الناصح:

1. أن تكون النصيحة سراً.
2. أن تكون بلطف.
3. أن تكون بلا استعلاء.

وشروط المنصوح:

1. أن يقبل النصيحة.
2. أن يشكر الناصح.
3. أن يطبق النصيحة.

3. التواضع لهم والإنصاف معهم وخدمتهم بقدر الإمكان إذ "سيد القوم خادمهم" **[أخرجه ابن ماجه والترمذي عن أبي قتادة رضي الله عنه، كما في "فيض القدير" "شرح الجامع الصغير" للمناوي ج4/ص122]**.

4. حسن الظن بهم وعدم الانشغال بعيوبهم وتوَكيلُ أمورهم إلى الله تعالى.

5. قبول عذرهم إذا اعتذروا.

6. إصلاح ذات بينهم إذا اختلفوا واختصموا.

7. الدفاع عنهم إذا أُوذوا أو انتُهِكتْ حرماتهم.

8 - أن لا يطلب الرئاسة والتقدم عليهم لأن طالب الولاية لا يُوَلَّى.

فهذه جملة من الآداب التي يجب على السالك مراعاتها والمحافظة عليها فإن الطريق كلها آداب، حتى قال بعضهم: (اجعل عملك ملحاً وأدبك دقيقاً).

وقال أبو حفص النيسابوري رضي الله عنه: (التصوف كله آداب، لكل وقت آداب، ولكل حال آداب، ولكل مقام آداب، فمن لزم الأدب بلغ مبلغ الرجال، ومن حُرم الأدب فهو بعيد من حيث يظن القرب، مردود من حيث يظن القبول) **["طبقات الصوفية" للسلمي ص119]**.

العلم:

ان المسلم حين يعمل على تزكية نفسه وتطهير قلبه وتصحيح ظاهره وباطنه لا بد قبل ذلك أن يكون قد صحح إيمانه، وقام بجميع عباداته المفروضة واستقام في معاملاته، ولا يتحقق ذلك إلا بالعلم الصحيح. وهذا أمر بدهي واضح لأن فضل العلم أمر ظاهر، واشتراطه في تصحيح الأعمال أمر متفق عليه. وإننا نثبت بحث العلم في هذه الطبعة تأكيداً لبيان منزلته وشرفه ورداً على كثير من المتسرعين الذين يتوهمون أن رجال التصوف يقللون من شأن العلم ولا يعطونه ما يستحق من الاهتمام والعناية]أساس الأعمال وإمامها ومصححها، فكما أنه لا فائدة للعلم بلا عمل، كذلك لا ينفع

عمل بلا علم...

فالعلم والعمل توأمان لا ينفكان عن بعضهما، والسالك في طريق الإيمان والتعرف على الله تعالى والوصول إلى رضاه لا يستغني عن العلم في أية مرحلة من مراحل سلوكه..قال الله تعالى: {إنَّما يخشى اللهَ مِنْ عِبادِهِ العلماءُ} **[فاطر: 28]**.

و قال أيضاً: {هل يستوي الذين يعلمونَ والذين لا يعلمونَ} **[الزمر: 9]**.

وقد قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "مَنْ سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لَتَضَعُ أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع، وإن العالم ليستغفر لَهُ مَنْ في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماءَ ورثةُ الأنبياء، وإن الأنبياء لم يُوَرِّثُوا ديناراً ولا درهماً، وإنما وَرَّثُوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر. **[رواه الترمذي وأبو داود وابن ماجه في كتاب العلم]**.

الذكر:

"أهل ذكري أهل مجالستي... الحديث" [من حديث قدسي أخرجه الإمام أحمد في مسنده].

معاني كلمة الذكر:

أطلقت الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة كلمة "الذكر" على عدة معان:* فتارة قُصِدَ بها **القرآن الكريم** كما في قوله تعالى: {إنَّا نحن نزّلنا الذِّكرَ وإنّا لهُ لَحافظونَ} **[الحجر: 9]**. وتارة قُصِدَ بها *صلاة الجمعة: {يا أيُّها الذين آمنوا إذا نُودِيَ للصلاة من يوم الجمعة فاسعَوا إلى ذكرِ اللهِ} **[الجمعة: 9]**. وفي موطن آخر *عُنِيَ بها العلم: {فاسألوا أهل الذكر إنْ كنتم لا تعلمونَ} [الأنبياء: 7]. وفي معظم النصوص* أُريدَ بكلمة "الذكر" التسبيحُ والتهليل والتكبير والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وما إلى هنالك من الصيَغ، كما في قوله تعالى: {فإذا قَضيتُمُ الصلاةَ فاذكروا اللهَ قياماً وقعوداً وعلى جنوبِكُم}

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله عز وجل يقول: أنا مع عبدي إذا هو ذَكرني وتحركت بي شفتاه"

قال تعالى: {فاذكُرُوني أذكُرْكُم} **[البقرة: 152]**.و قال أيضا: {الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جُنوبهم} **[آل عمران: 191]**.

وجميع العبادات يشترط لصحتها شروط إلا ذكر الله تعالى، فإنه يصح بطهارة وغيرها وفي جميع الحالات: في القيام والقعود... وغيرها.

1. عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم:"مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربَّهُ مثل الحي والميت" **[رواه البخاري في صحيحه في كتاب الدعوات]**.

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: (لم يفرض الله تعالى على عباده فريضة إلا جعل لها حداً معلوماً، ثم عذر أهلها في حال العذر، غير الذكر؛ فإنه لم يجعل له حداً ينتهي إليه، ولم يعذر أحداً في تركه إلا مغلوباً على عقله، وأمرهم بذكره في الأحوال كلها، فقال عز من قائل: {فاذكُروا اللهَ قياماً وقعوداً وعلى جُنُوبِكُم} [النساء: 103]. وقال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً} **[الأحزاب: 41]** أي بالليل والنهار، وفي البر والبحر، والسفر والحضر، والغنى والفقر، وفي الصحة والسقم، والسر والعلانية، وعلى كل حال) **["نور التحقيق" ص147]**.

ج . الذكر المنفرد والذكر مع الجماعة:

العبادات مع الجماعة . وفيها ذكر الله تعالى . تزيد في الفضل على العبادة في حالة الانفراد ؛ ففي الجماعة تلتقي القلوب، ويكون التعاون والتجاوب، ويستقي الضعيف من القوي، والمُظْلِم من المُنَوَّر والكثيف من اللطيف، والجاهل من العالم وهكذا...

*عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما من قوم يذكرون الله إلا حفَّتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده" **[أخرجه مسلم في كتاب الذكر، والترمذي في كتاب الدعوات]**.

<u>آداب الذكر</u>

<u>آداب الذكر المنفرد:</u>

ينبغي أن يكون الذاكر على أكمل الصفات، فإن كان جالساً في موضع استقبل القِبلة متذللاً متخشعاً بسكينة ووقار، مطرقاً برأسه، ولو ذكر على غير هذه الأحوال جاز ولا كراهة في حقه، ولكن إن كان بغير عذر كان تاركاً للأفضل.

*وينبغي أن يكون الموضع الذي يذكر فيه خالياً نظيفاً، فإنه أعظم في احترام الذكر والمذكور، ولهذا مُدح الذكر في المساجد والمواضع الشريفة. وينبغي أن *يكون فمُه نظيفاً، وإن كان به تغيُّرٌ أزاله بالسواك.

والذكر محبوب في جميع الأحوال، والمراد من الذكر حضور القلب، فينبغي أن يلاحظ الذاكر ذلك ويتدبر معاني ما يذكر.

فإن كان يستغفر فعليه أن يلاحظ بقلبه طلب المغفرة والعفو من الله تعالى، وإن كان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم فعليه أن يستحضر عظمة رسول الله صلى الله عليه وسلم بقلبه، وإن كان يذكر بالنفي والإثبات وهو "لا إله إلا الله" فعليه أن ينفي كل شاغل يشغله عن الله تعالى. وعلى كلٌّ لا يَترك الذكر باللسان لعدم حضور القلب، بل يذكر الله بلسانه ولو كان غافلاً بقلبه؛ لأن غفلة الإنسان عن الذكر إعراض عن الله بالكلية، وفي وجود الذكر إقبال بوجهٍ ما، وفي شغل اللسان بذكر الله تزيين له بطاعة الله، وفي فقده تعرضٌ لاشتغاله بأنواع المعاصي القولية كالغيبة والنميمة وغيرها يقول ابن عطاء الله السكندري: (لا تترك الذكر لعدم حضور قلبك مع الله تعالى فيه، لأن غفلتك عن وجود ذكره، أشد من غفلتك في وجود ذكره، فعسى أن يرفعك [الله] من ذكر مع وجود غفلة إلى ذكر مع وجود يقظة، ومن ذكر مع وجود يقظة إلى ذكر مع وجود حضور، ومن ذكر مع وجود حضور إلى ذكر مع وجود غَيْبَةٍ عما سوى المذكور، وما ذلك على الله بعزيز) **["إيقاظ الهمم في شرح الحكم" لابن عجيبة ج1/ص79]**.

فعلى الإنسان ملازمة الذكر باللسان حتى يفتح القلب، وينتقل الذكر إليه، فيكون من أهل الحضور مع الله تعالى.

آداب الذكر الجهري مع الجماعة:

الذكر الجهري له آداب ثلاثة: آداب سابقة، وآداب مقارنة، وآداب لاحقة، وكل قسم من هذه الثلاثة له ظاهر وباطن.

1. فظاهر الآداب السابقة:

أن يكون الذاكر طاهر الثوب، طيب الرائحة متوضئاً، نقياً من الحرام كسباً وغذاء.

وباطنها: أن يطهّر قلبه بالتوبة الصادقة، ويتخلى عن جميع الأمراض القلبية، ويتبرأ من حوله وقوته.

2. وظاهر الآداب المقارنة:

أن يجلس حيث انتهى به المجلس إذا كان الإخوان جلوساً،* وإذا كانوا وقوفاً ذكر خلفهم بذكرهم حتى ينتبه له أقربهم ويفسح له ليدخل بينهم، وينتظم في حلقتهم،* فإذا أراد أن يخرج لعذر طارئ وصل بين مَنْ على جانبيه بلطف، وخرج حتى لا يقطع عليهما اشتغالهما بالذكر، *وأن يكون موافقاً لهم في وضعهم ؛ فلا يشذ عنهم بمخالفة* وأن يغمض عينيه حتى لا يشغله أحد عن حضور قلبه مع الله تعالى.

وباطنها*: أن يجاهد في طرد وساوس الشيطان وهواجس النفس، وأن لا يشغل قلبَه أُمورُ الدنيا، وأن يجتهد في الحضور بقلبه وهمته فيما هو فيه من الذكر.

د . الذكر المقيد والذكر المطلق:

أما الذكر المقيد:

فهو الذي ندبَنا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم مقيَّداً بزمان خاص أو مكان خاص ؛ كالذكر بعد أداء كل صلاة، من تسبيح وتحميد وتكبير، وأذكار المسافر والآكل والشارب، وأذكار النكاح.

وأما الذكر المطلق:

فهو ما لم يقيد بزمان ولا مكان، ولا وقت ولا حال، ولا قيام ولا قعود، فالمطلوب من المؤمن أن يذكر ربه في كل حال حتى لا يزال لسانه رطباً بذكر الله، والآيات في ذلك كثيرة منها قوله تعالى: {فاذكُرُوني أذكُرْكُم} **[البقرة: 152]**..

وقد وصفت السيدة عائشة رضي الله عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقولها: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله في كل أحيانه) **[أخرجه مسلم في كتاب الطهارة وفي كتاب الفضائل، والترمذي في كتاب الدعوات، وأبو داود وابن ماجه في كتاب الطهارة]**.

فوائد الذكر إجمالاً:

1. عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما من قوم يذكرون الله، إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده"**[أخرجه مسلم في كتاب الذكر، والترمذي في كتاب الدعاء وقال: حسن صحيح]**.

2. عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "يقول الرب تبارك وتعالى: من شغله قراءة القرآن وذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين" **[أخرجه الترمذي وحسنه، والدارمي والبيهقي.**

3. وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله إلا ناداهم منادٍ من السماء: قوموا مغفوراً لكم قد بُدلت سيئاتكم حسنات" **[أخرجه أحمد وغيره. ومرَّ عزوه في ص121]**.

4. وعن ثابت قال: كان سلمان في عصابة يذكرون الله، فمرَّ النبي صلى الله عليه وسلم فكفوا، فقال: "ما كنتم تقولون ؟ قلنا: نذكر الله. قال: إني رأيت الرحمة تنزل، فأحببت أن أشارككم فيها، ثم قال: الحمد لله الذي جعل في أُمتي من أُمرت أن أصبر نفسي معهم" **[أخرجه الإمام أحمد والحاكم وصححه]**.

قراءة الورد:

الورد بالكسر، كما في المصباح: الوظيفة من قراءة ونحو ذلك، والجمع: أوراد. ويطلقه الصوفية على أذكار يأمر الشيخ تلميذه بذكرها صباحاً بعد صلاة الصبح [حكم ذكر الله بعد صلاة الصبح:

إن من أفضل الأعمال بعد صلاة الفجر، الاشتغال بذكر الله تعالى، خلافاً لما يظن بعض الناس بأن الاشتغال بقراءة

القرآن بعد صلاة الصبح أولى وأفضل، وقد وردت في ذلك أحاديث كثيرة منها:

1. عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من صلى صلاة الغداة [الصبح] في جماعة ثم جلس يذكر الله حتى تطلع الشمس، ثم قام فصلى ركعتين انقلب بأجر حجة وعمرة. **رواه الطبراني وإسناده جيد كما في "مجمع الزوائد" ج10/ص104.**

والوارد في اللغة: هو الطارق والقادم، يقال ورد علينا فلان أي قدم. وفي الاصطلاح: ما يُتْحفه الحق تعالى قلوبَ أوليائه من النفحات الإلهية، فيكسبه قوة محركة، وربما يدهشه، أو يُغيّبه عن حسه، ولا يكون إلا بغتة، ولا يدوم على صاحبه **["شرح الحكم" لابن عجيبة ج1/ص160].**

والورد يضم ثلاث صيغ من صيغ الذكر المطلوبة شرعاً، والتي دعا إليها كتاب الله تعالى، وبينت السنة الشريفة فضلها ومثوبتها.

1. **الاستغفار:** بصيغة [أستغفر الله] مائة مرة، بعد محاسبة النفس على الزلات لتعود صفحة الأعمال نقية بيضاء. وقد أمرنا الله تعالى بذلك بقوله: {وما تُقَدِّمُوا لأنْفُسِكُم مِنْ خير تجِدُوه عند اللهِ هوَ خيراً وأعظَمَ أجراً واستغفروا اللهَ إنَّ اللهَ غفورٌ رحيم} **[المزمل: 20].**

2. **الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم:** بصيغة [اللهم صلِّ على سيدنا محمد عبدك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلِّم] مائة مرة مع استحضار عظمته صلى الله عليه وسلم، وتذكُّرِ صفاته وشمائله، والتعلق بجنابه الرفيع، محبة وتشوقاً

وكذلك رغَّب رسول الله صلى الله عليه وسلم بكثرة الصلاة والسلام عليه فقال: "من صلَّى عليَّ واحدةً صلَّى الله عليه بها عشراً"

وقال صلى الله عليه وسلم أيضاً: "أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليَّ صلاة"

3. **كلمة التوحيد:**

فقد رغبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الإكثار من ترداد كلمة التوحيد، وبين أفضليتها ومثوبتها ؛ فقال: "أفضل الذكر لا إله إلا الله"

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "جددوا إيمانكم، قيل: يا رسول الله وكيف نجدد إيماننا ؟ قال: أكثروا من قول لا إله إلا الله"

المذاكرة:

هي استفادة **المريد** من خبرة مرشده بسؤاله عن أحكام شرعية تتعلق بتصحيح العقائد أو العبادات أو المعاملات، أو بأن يعرض له ما يحدث معه من أحوال قلبية وخواطر نفسية وشيطانية قد تلتبس عليه فتوقعه في شكوك وأوهام، كالشكوك في العقائد الإيمانية، و كالتعلقات الدنيوية، التي يقف حيالها حائراً مضطرباً.

أو بأن يكشف له عن أمراضه القلبية كالكبر والحسد والنفاق وحب الرئاسة، وعن رعوناته النفسية كالتحدث عن كراماته ومرائيه بغية الثناء والشهرة... وغير ذلك من الصفات الناقصة بغية معرفة طريق الخلاص منها.

وهكذا يرجع المريد لمرشده في جميع أحوال سيره لاجتياز العقبات التي تعترض طريقه.

وقد يذاكر المريد شيخه في أحواله الطيبة ومقامات سيره، واستشراف روحه للحضرة الإلهية، وما يرد على قلبه من

واردات رحمانية أو ملكية ومفاهيم قرآنية وعلوم وهبية ... والقصد من ذلك الاستيثاق من صحتها حتى يكون المريد على بصيرة من مراحل سيره.

*ومثل المريد مع مرشده كمثل المريض الذي يكشف لطبيبه كل ما يلقاه من أعراض مرضية، كما يخبره عن جميع مراحل تحسن جسمه وصحته.

*ومن جهة أخرى فإن المذاكرة تُقوِّي الصلة بين المريد والمرشد، فتزداد المحبة ويقوى التجاوب، كما أن المريد يستفيد بالمذاكرة من شيخه علماً وحالاً ومعرفة، لأن العلم روح تنفخ لا مسائل تنسخ.

فالمذاكرة إذن تطبيق عملي لأدب من آداب الشرع، وخلق أساسي من أخلاق الإسلام، وهو الشورى التي مدح الله بها المؤمنين بقوله: {وأمرُهُمْ شُورى بينَهُم} [الشورى: 38]. والتي دعا إليها الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام بقوله: "المستشار مؤتمن" [رواه الترمذي عن أبي هريرة في كتاب الأدب وقال: حديث حسن. والبخاري في "الأدب المفرد" في باب المستشار مؤتمن].

وإذا كانت الشورى هي للاستفادة من خبرة أهل الاختصاص في أي جانب من جوانب الحياة، كالمريض الذي يستفيد من خبرة الطبيب، والبَنَّاءِ الذي يستفيد من خبرة المهندس، والمظلوم الذي يستفيد من خبرة المحامي... إلخ.

فإن المذاكرة هي للاستفادة من خبرة المرشد في ميدان التطبيق العملي لدين الله تعالى، وقد نوَّه الله تعالى لهذه الاستفادة بقوله: {فاسألُوا أَهْلَ الذِّكرِ إنْ كُنتُم لا تعلمونَ} [النحل: 43]. وبقوله تعالى: {الرحمنُ فاسألْ بِهِ خبيراً} **[الفرقان: 59]**.

الخلوة:

1. **تعريفها:** قال الشيخ أحمد زروق في قواعده: (الخلوة أخص من العزلة، وهي بوجهها وصورتها نوع من الاعتكاف، ولكن لا في المسجد، وربما كانت فيه، وأكثرها عند القوم لا حدَّ له، لكن السنة تشير للأربعين بمواعدة موسى عليه السلام، والقصد في الحقيقة ثلاثون، إذ هي أصل المواعدة، وجاور عليه الصلاة والسلام بحراء شهراً كما في مسلم [أخرج مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "جاورت بحراء شهراً، فلما قضيت جواري نزلت فاستبطنت بطن الوادي..."]، وكذا اعتزل نساءه، وشهر الصوم واحد. وزيادة القصد ونقصانه كالمريد في سلوكه. وأقلها عشرة لاعتكافه عليه الصلاة والسلام للعشر، وهي للكامل زيادة في حاله، ولغيره ترقية، ولا بد من أصل يُرجع إليه. والقصد بها تطهير القلب من أدناس الملابسة، وإفراد القلب لذكر واحد، وحقيقة واحدة، ولكنها بلا شيخ مخطرة، ولها فتوح عظيم، وقد لا تصح بأقوام، فليعتبر كل أحد بها حالَه) **["قواعد التصوف" لأبي العباس الشيخ أحمد الفاسي المشهور بزروق توفي سنة 899هـ في طرابلس الغرب، ص39]**.

فالخلوة إذن: انقطاع عن البشر لفترة محدودة، وترك للأعمال الدنيوية لمدة يسيرة، كي يتفرغ القلب من هموم الحياة التي لا تنتهي، ويستريح الفكر من المشاغل اليومية التي لا تنقطع، ثم ذكرٌ لله تعالى بقلب حاضر خاشع، وتفكرٌ في آلائه تعالى آناء الليل وأطراف النهار، وذلك بإرشاد شيخ عارف بالله، يُعلِّمه إذا جهل، ويذكِّره إذا غفل، وينشطه إذا فتر، ويساعده على دفع الوساوس وهواجس النفس.

2. **طريقتها:**

يذكر الغزالي رحمه الله طريقة الخلوة ومراحلها ومقاماتها، فيبين: (أن الشيخ* يُلزِم **المريد** زاوية ينفرد بها، ويوكل به من يقوم له بقدر يسير من القوت الحلال . فإنَّ أصل الدين القوت الحلال .* وعند ذلك يلقنه ذكراً من الأذكار، حتى يشغل

به لسانه وقلبه، فيجلس ويقول مثلاً: الله، الله، أو سبحان الله، سبحان الله، أو ما يراه الشيخ من الكلمات، فلا يزال يواظب عليه، حتى يسقط الأثر عن اللسان، وتبقى صورة اللفظ في القلب، ثم لا يزال كذلك حتى تُمحى من القلب حروف اللفظ وصورته، وتبقى حقيقة معناه لازمة للقلب، حاضرة معه، غالبة عليه، قد فرغ عن كل ما سواه، لأن القلب إذا اشتغل بشيء خلا عن غيره . أيَّ شيء كان . فإذا اشتغل بذكر الله تعالى وهو المقصود، خلا لا محالة من غيره.*

3. **مشروعيتها:** ليست الخلوة ابتداعاً من الصوفية، وإنما هي امتثال لأمر الله تعالى في كتابه العزيز، وتأسٍّ واقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقد كان يخلو بغار حراء يتعبد الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، حتى جاءه الحق، وهو في غار حراء. وبهذا تكون قد ثبتت مشروعيتها.

قال تعالى: {واذكرِ اسم ربِّكَ وتَبَتَّلْ إليه تبتيلاً} **[المزمل: 8]**.

قال العلامة أبو السعود مفسراً قوله تعالى: {واذكُرِ اسمَ ربِّك...} **[المزمل: 8]**: (ودُم على ذكره تعالى ليلاً ونهاراً على أي وجه كان ؛ من التسبيح والتهليل والتحميد...) **[تفسير العلامة أبي السعود على هامش تفسير فخر الدين الرازي ج8/ص338]**..

عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (أولُ ما بُدِيءَ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبِّبَ إليه الخلاءُ، وكان يخلو بغار حِراءَ ؛ فيتَحَنَّثُ فيه . وهو التعبد . الليالي ذوات العدد، قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة، ويتزود لمثلها، حتى جاءه الحق، وهو في غار حراء) [رواه البخاري في صحيحه باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم].

وقال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: (ومن أحب أن يفتح الله قلبه، ويرزقه العلم، فعليه بالخلوة وقلة الأكل، وترك مخالطة السفهاء وبعض أهل العلم الذي ليس معهم إنصاف ولا أدب)

وقال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى: (وأما الخلوة ففائدتها دفع الشواغل، وضبط السمع والبصر، فإنهما دهليز القلب، والقلب في حكم حوض تنصب إليه مياه كريهة كدرة قذرة من أنهار الحواس. ومقصود الرياضة تفريغ الحوض من تلك المياه ومن الطين الحاصل منها ؛ ليتفجر أصل الحوض، فيخرج منه الماء النظيف الطاهر. وكيف يصح له أن ينزح الماء من الحوض، والأنهار مفتوحة إليه ؟ فيتجدد في كل حال أكثر مما ينقص. فلا بد من ضبط الحواس إلا عن قدر الضرورة، وليس يتم ذلك إلا بالخلوة)

ثم ذكر للخلوة عشر فوائد:

1. السلامة من آفات اللسان، فإنَّ مَنْ كان وحده لا يجد معه من يتكلم، ولا يسلم في الغالب من آفاته إلا من آثرَ الخلوة على الاجتماع.
2. السلامة من آفات النظر،فإنَّ من كان معتزلاً عن الناس سلم من النظر إلى ما هم مُنْكَبُّون عليه من زهرة الدنيا وزخرفها، قال بعضهم: (من كثرت لحظاته دامت حسراته).
3. حفظ القلب وصونه عن الرياء والمداهنة وغيرهما من الأمراض.
4. حصول الزهد في الدنيا والقناعة منها، وفي ذلك شرف العبد وكماله.
5. السلامة من صحبة الأشرار ومخالطة الأرذال، وفي مخالطتهم فساد عظيم.
6. التفرغ للعبادة والذكر، والعزم على التقوى والبر.

7. وُجْدانُ حلاوة الطاعات، وتمكن لذيذ المناجاة بفراغ سره، قال أبو طالب المكي في "القوت": (ولا يكون المريد صادقاً حتى يجد في الخلوة من الحلاوة والنشاط والقوة ما لا يجده في العلانية).

8. راحة القلب والبدن، فإن في مخالطة الناس ما يوجب تعب القلب.

9. صيانة نفسه ودينه من التعرض للشرور والخصومات التي توجبها الخلطة.

10. التمكن من عبادة التفكر والاعتبار، وهو المقصود الأعظم من الخلوة) **["إيقاظ الهمم في شرح الحكم" لأحمد بن عجيبة ج1/ص30]**.

والخلاصة: إن الخلوة نوعان:

خلوة عامة، ينفرد بها المؤمن ليتفرغ لذكر الله تعالى بأية صيغة كانت، أو لتلاوة القرآن الكريم، أو محاسبة نفسه، أو ليتفكر في خلق السموت والأرض.

وخلوة خاصة: وهي الوصول إلى مراتب الإحسان والتحقق بمدارج المعرفة، وهذه لا تكون إلا بإشراف مرشدٍ مأذون، يُلَقِّنُ **المريدَ** ذكراً معيناً، ويكون على صلة دائمة به ليزيل عنه الشكوك ويدفعه إلى آفاق المعرفة، ويرفع عنه الحجب والأوهام والوساوس.

خاتمة:

يحتل التصوفُ ركنًا كبيراً في حياة المسلمينَ وتاريخهم، فالمتوغل في التاريخ الإسلامي يقفُ على توفر مساحة شاسعة لهذا الجانب من حياة المسلمين، مع تباين الأزمنة والعصور والأمكنة.

لهذا نال التصوفُ اهتمامَ الباحثين قديماً وحديثاً، حيث كثرت الدراسات والبحوث التي تناولته وهذا من وجهات نظر تاريخية ونقدية، واختلفت الآراءُ حول حقيقته وأثره، سواءً على مستوى الأفراد أو الجماعات أو المجتمعات بوجه عام، حيث انقسم الباحثون بشأنه بين مؤيدٍ ومعارض، متّهمين التصوّف بالسلبية التي تثبط من عزيمة المسلمين، وتُضعفُ طموحَهم، من هنا كان التطرق لموضوع التصوف من القضايا الشائكة والمتشعبة، إضافة إلى تنوع مصادرها وكثرتها، وإلى ما تنطوي عليه من حساسية تجاهه، جراء الخلط بين التصوف الأصيل القائم على دعائم الإسلام من الكتاب والسنة، والتصوف الدخيل المتأثر بالفلسفات اليونانية والفارسية والرهبنة المسيحية.

<u>الهوامش:</u>

1/"**بهجة النفوس**" شرح مختصر البخاري للإمام الحافظ أبي محمد عبد الله بن أبي جمرة الأزدي الأندلسي ا. ج1/ص10

.

2/" الإمام الفقيه الحافظ أبي زكريا محي الدين النووي، **بستان العارفين**" . ص47.

3/ شيخ الإسلام بن تيمية **الصوفية والفقراء** ص 5,

4/الشيخ السيد يوسف السيد هاشم الرفاعي، **الصوفية والتصوف في ضوء الكتاب والسنة**، ط1، الكويت، 1999

5/ المحدث ابن حجر الهيثمي، **الفتاوى الحديثية**". ا.، ص55.

6/ **طبقات الصوفية**" ص405

7/ الشيخ أبو بكر بن محمد بناني الشاذلي، **مدارج السلوك إلى ملك الملوك**". . ص12.

8/فيض القدير" "**شرح الجامع الصغير**" للمناوي ج4/ص122.

9/ أبي العباس الشيخ أحمد الفاسي المشهور بزروق **قواعد التصوف**" ، ص39.
10/ تفسير العلامة أبي السعود على هامش تفسير فخر الدين الرازي ج8/ص338.
11/ أحمد بن عجيبة **إيقاظ الهمم في شرح الحكم**" ج1/ص30.
12/ محمد عمارة،الشيخ محمد الغزالي:**الموقع الفكري والمعارك الفكرية**،دار السلام، القاهرة، 2009ص5-24
13/ أبو العباس أحمد بن محمد زروق **قواعد التصوف**، ، قاعدة 13، صححه محمد زهري النجار، مكتبة الكليات الأزهرية ط 1976.
14/ عبد الرحمن بن خلدون، **شفاء السائل لتهذيب المسائل**، ، الدار العربية للكتاب، 1991، ص:204-
15/ مصطفي حلمي، **أعمال القلوب بين الصوفية وعلماء أهل السنة**، ، دار الدعوة للطباعة والنشر دت ص10
16/**اللمع**، دار الكتب الحديثة، مصر،1960م ص:46
17/ابن زروق، **قواعد التصوف** الطبعة الثانية ص 293 ط 1396 هـ مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة
18/أبو القاسم القشيري **الرسالة القشيرية في علم التصوف**، ، ت هاني الحاج، المكتبة التوفقية، د ط د ت ص85
19/ابن الجوزي **تلبيس إبليس**، ، دار القلم، بيروت، ص157]
20/حسن الشيخ الفاتح الشيخ قريب الله، **الزهد والتصوف**، ، دار الجيل، بيروت، ط1، ص50/51
21/ دائرة المعارف الإسلامية، الطبعة العربية، مادة تصوف، ج5ص266